فقال: بَلى، واللَّهِ سَوْفَ يَمَسُّها
عَذابٌ، وبَلْوَى في الحَياةِ تَنالُها[١]
فقلتُ؛ ولم أَملكْ سَوابقَ عَبْرَةٍ
سَريعٍ إلى جَيْبِ القَميصِ انْهِمالُها[٢]:
عفا اللَّه عنها ذَنْبَها وأَقالَها
وإِن كان في الدنيا قليلاً نَوالُها[٣]

١٧٩
باعوها

[الطويل]

أَلَا إِنَّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ أَصْبَحَتْ
تَقَطَّعُ إِلَّا مِنْ ثَقِيفٍ حِبالُهَا[٤]
إِذا الْتَفَتَتْ وَالْعِيسُ صُعْرٌ مِنَ الْبُرَى
بِنَخْلَةَ غَشَّى عَبْرَةَ الْعَيْنِ حالُها[٥]

= بمكة، وقد حطّ يودّ الراحة وسرّح ناقته التي أهزلها طول المسير، وألقى رحلها عنها، وراح يستحلفه باللَّه تعالى: ألم تأثم تلك التي سبّب له خيالها الضّرر بجسمه منذ زمن بعيد؟

(١) وكان جواب المفتي إيجاباً بعدما أقسم باللَّه العظيم سينالها عذاب عظيم يوم الحساب، وتنزل بها مصائب في حياة الدنيا.

(٢) و (٣) كانت ردّة الفعل لدى الشاعر سريعة، فانهمرت دموعه حتى بلت جيب قميصه لأجلها ولما يمكن أن يصيبها من بلاء؛ فدعا اللَّه العظيم العفو والمغفرة وإيقالتها من إساءتها له، حتى لو كانت قليلة العطاء في هذا الوجود؛ فهي تبخل بلقاء، وإن وعدت أخلفت.

(٤) بلغ الشاعر أن ليلى قد زُفَّت إلى رجل من بني ثقيف، وقد أحسّ أنها ما عادت تهتمّ له؛ وذلك بدافع الأمانة الزوجية؛ ومن الطبيعي أن تقتصر علاقتها على بني ثقيف دونه.

(٥) العيس: الإبل، صُعْر: ممالة. البُرى: حلقة تجعل في منخر البعير. نخلة: اسم =

فَـهُـمْ حَـبَـسُـوهَـا مَـحْـبَـسَ الْـبُـدْنِ وابْـتَـغَـى
بِـهَـا الـمَـالَ أَقْـوامٌ، أَلَا قَـلَّ مَـالُـهَـا[١]

خَـلِـيـلَـيَّ هَـلْ مِـنْ حِـيـلَـةٍ تَـعْـلَـمَـانِـهـا
يُـدَنِّـي لـنـا تَـكـلـيـمَ لَـيْـلَـى احـتـيـالُـهـا[٢]؟

فـإِنْ أَنْـتُـمـا لـمْ تَـعْـلَـمـاهـا فـلـسـتُـمـا
بِـأَوَّلِ بـاغٍ حـاجـةً لا يـنـالُـهَـا[٣]

كـأَنَّ مـع الـرَّكْـبِ الَّـذيـن اغْـتَـدَوا بـهـا
غَـمـامَـةَ صَـيْـفٍ زَعْـزَعَـتْـهـا شَـمَـالُـهَـا[٤]

نَـظَـرْتُ بِـمُـقْـتَـضَـى سَـيْـلِ جَـوْشَـيْـنِ إِذْ غـدوا
تَـخُـبُّ بِـأَطْـرافِ الـمـخـارِمِ آلُـهُـا[٥]

بِـشـافِـيَـةِ الأَحْـزانِ هَـيَّـجَ شَـوْقَـهـا
مُـجـامَـعَـةُ الأُلَّافِ ثـم زِيـالُـهـا[٦]

= موضع. يصف الشاعر ساعة ارتحال ليلى عن قومها إلى مرابض بني ثقيف؛ فهي تلتفت مودّعة وثمَّة دمعة محبوسة نطقت بها عيناها ممّا تُعانيه بنخلة، والإبل قد أمالت صُعراً أعناقها البُرى.

(١) البدن: النياق السمينة. المحبس: السجن. ولقد باعها أهلها طامعين بالمال، وحجروا عليها في محبس البدن السمان. ودعا عليهم بالفقر؛ فذلك المال ناتج عن ظلم.

(٢) و (٣) يخاطب الشاعر صديقيه، على الطريقة الجاهلية، مستعلماً عن حيلة يعرفانها تسمح له برؤية ليلى ومحادثتها، فيكون كلام وشوق... وإن لم تقدرا على اختراع الحيلة، فلستما أول من سألت، فقد حدث أن حاولت ولم أحصل على طائل.

(٤) يصف الشاعر ساعة انطلاق الظاعنين، فثمَّة غمامة لا تحمل مطراً، شأن غيوم الصيف، تظلّل ليلى تتحرّك معها بريح الشمال.

(٥) جَوْشين: جبلان متجاوران، غربي حلب. المخارم، واحدها مخرم: الطريق في الجبل. يتابع الشاعر القافلة بنظره وهي تعبر بمحاذاة سيل جوشين في غدوة ذلك اليوم، والجمال تمشي الخبب مسرعة مخترقة وعراً صعب الدرب.

(٦) يقصد بشافية الأحزان: عينه. زيالها: رحيلها. كلما بدأ الركب يختفي زاد شوق =